نظرية المجالات الدلالية دراسة تطبيقية في لغة الطفل

إعداد

د / منصور سعد السحيمي

أستاذ اللغويات التطبيقية المشارك بمعهد اللغة العربية لغير الناطقين بها

جامعة أم القرى بمكة المكرمة

mssohaimy@uqu.edu.sa

بسم الله الرحمن الرحيم

تتبارى الأمم والشعوب اليوم ــ وكل يوم ــ في العناية بلغاتها، وتعمل على ترقيتها ونشرها بسبل شتى؛ فرفعة اللغة تعني رفعة الناطقين بها والمنتمين لها، ولغة العرب ــلغة القرآن الكريمــ هي العروة الجامعة للأمة العربية وهي قوام نهضتها وعماد وجودها، وقد أولت حكومة المملكة العربية السعودية ــأعزها اللهــاللغة العربية اهتماما ملحوظا، كما تضمنت رؤية المملكة ٢٠٣٠ ضرورة العناية بالأطفال ومنحهم إعدادا يمكنهم من المساهمة في ركب التنمية المستدامة لتحقيق طموحات الوطن.

ولا يخفى على المهتمين بالدرس اللغوي العربي حالة التردي في الأداء التي وصلت إليها ألسنةُ الناطقين بالعربية من أبنائها وغيرهم من الراغبين في تعلمها، وقد تعددت طروحات الباحثين حول رصد مشكلات اللغة العربية، من ناحية المعلمين والمناهج وطرائق التدريس، وسواها، واقتراح الحلول لها، بغض النظر عن جدوى تلك الحلول من عدمها.

وتبقي التربية اللغوية السليمة للطفل العربي هي السبيل الناجع لإقالة عثرة التردي الملحوظ في الأداء اللغوي العربي، والواقع اللغوي ــعلى مستويات اللغات بعامةــ يشير إلى أن لغة الطفل هي مكمن الداء، ومستودع الدواء أيضا؛ فالنهوض بلغة الأطفال يعد أول الغيث للنهوض باللغة العربية عامة، ومن ثم النهوض بالأمة قاطبة.

وسوف تحاول هذه الورقة إلقاء الضوء على بعض جوانب لغة الطفل العربي واقتراح تصور علمي عملي لمحاولة النهوض بها، من خلال الإفادة من توظيف معطيات الدرس اللغوي الحديث (نظرية المجالات الدلالية) بوصفها منطلقا علميا مناسبا لتعليم اللغة العربية، والارتقاء بها ونشرها لتحمل رسالة الخير والسلام للعالمين.

كلمات مفتاحية: اللغة العربية،اللغويات التطبيقية، لغة الطفل، المجالات الدلالية، رؤية المملكة ٢٠٣٠ .

تمهيد

لغة الطفل والنهوض بالعربية

يجد المتأمل في الإيقاع المتلاحق للعصر الحاضر تغول تيار العولمة وتلاشي الحدود والمسافات في ظل الانفتاح المعلوماتي ووفرة قنوات التواصل؛ ما أسفر عن تفوق بعض اللغات وخفوت الكثير منها؛ ولا يمكن أن تبقى العربية في معزل عن تلك التيارات المتلاطمة، ما يحتم على أبنائها قيامهم بالواجب تجاهها؛ فالعناية بالعربية هي نوع عناية بالقرآن الكريم، دستور الأمة ونبراس حياتها.

وتعد العناية بلغة الأطفال هي المسار الصحيح للتهوض باللغة العربية وثقافتها، تنبع أهمية هذا **الورقة** من خطورة المرحلة التي يتصدى لها بالدراسة من عمر الطفل لما يترتب عليها من أمور تؤثر على الفرد وتشكل مستقبله حتى النهاية، وهذه الفترة_ أعني فترة الطفولة المبكرة_ فترة حساسة..فعندما يبلغ الطفل سن الالتحاق بالمدرسة يكون قد استقر عنده أكثر الوصلات المخية الأساسية، والاستعدادات اللغوية والقدرات البدنية والأسس المعرفية[١].

وحتى ترتقي لغة من اللغات وتتبوأ مكانتها اللائقة بها لابد من تكاتف أبنائها جميعا بتجويدها على ألسنتهم أولا، و بنشرها وتيسير أسباب تعلمها لمن يرغب ذلك تاليا، وقد بلغت اللغة الإنجليزية ما بلغت بتيسير أسباب تعلمها لغير الناطقين بها_كما يقول وليم راسيل:"إذا أقمنا عددا من المدارس في أنحاء مختلفة في آسيا وأفريقيا لتعليم اللغة بدون رسوم وإعطاء منح متعددة من المصانع البريطانية للطلاب المتفوقين، فإن هذه الخطوة هي الخطوة الأولية التي يستطيع البريطانيون تبنيها ليتم قبول تجارتهم بشكل عام ومعتقداتهم وآرائهم ودينهم بشكل خاص،

[١] التعليم في مرحلة الطفولة المبكرة، نجوى جمال الدين، مجلة العلوم التربوية، يناير ٢٠٠٢، ص ٤٠٢.

وستكون اللغة هي الوسيلة لغزو القلب وغرس المحبة فيه، وهذا أكثر فاعلية من الغزو بالسيوف والمدافع!" [٢] .

وذلكم ما يثبته الواقع ويؤكده؛ ففي عام ١٩٩٥م تم نشر حوالي ٩٠% من ١٥٠٠ بحث في مجلة اللغويات التجريدية أو النظرية، وقد كتبت جميع هذه البحوث باللغة الإنجليزية[٣]، الأمر الذي جعل "صناعة تعليم الإنجليزية واحدة من أكبر الصناعات الأكثر تطورا ونموا حول العالم في نصف القرن الماضي" كما يقول ديفيد كريستال:"لقد صممت البرامج الانتقالية كي يدخل الأطفال في تيار اللغة الإنجليزية بسرعة قدر الإمكان"[٤] نعم الأطفال هم المنطلق الأول وشرارة البدء؛ فالاهتمام بتعليم الأطفال اللغة هو الأولوية ذات الصدارة من حيث تكوينهم والعناية بهم.

المتغيرات المؤثرة في النمو اللغوي عند الطفل:

تتنوع العوامل التي تؤثر على الجانب اللغوي عند الأطفال؛ منها ما ينبع من داخل الطفل، ومنها ما يحدثه المحيط من حوله؛ فالعمليات العقلية والنمو العصبي الفسيولوجي، والنمو الإدراكي، والبيئة اللغوية المحيطة بالطفل،كل ذلك يعد من المتغيرات المؤثرة في عملية النمو اللغوي بالتحديد، وجدير بالذكر أن هذه المتغيرات مجتمعة لها أثرها في اكتساب اللغة من باب أولى[٥].

---

[٢] اللغة الإنجليزية لغة العالم، تأليف ديفيد كريستال، ترجمة سعد بن هادي الحشاش، جامعة الملك سعود، ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م ص ٩٠، ٩١.

[٣] السابق، ص ١٣٢.

[٤] السابق، ص ١٦٢.

[٥] اللغة والحياة والطبيعية البشرية، تأليف روي .سي. هجمان، ترجمة د.داود حلمي السيد، ط٢، القاهرة، عالم الكتب، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م، ص٣٨.

إذا نظرنا في الجانب العضوي أو الفسيولوجي نجد أن الجهاز الحسي الدقيق للطفل يساعده على أن يسمع لغة من حوله في البداية، ثم على أن يقلدهم فيما بعد حين ينضج جهاز النطق عنده، والاستماع في الحقيقة مهارة لغوية أساسية في تعلم اللغة، وما لم يكن الأطفال قادرين على الاستماع فإنهم سيكونون غير قادرين على الكلام.[٦] والسماع _كما قال ابن خلدون_ هو أبو الملكات اللسانية، ودونه لا يتصور أن يكتسب الطفل لغة المجتمع الذي يعيش فيه، أو غيرها. لذلك يتأخر ظهور الكلام لدى الأطفال ذوى السمع الضعيف، بالإضافة إلى عوامل أخرى لا تقل خطرا عن سابقتها مثل: الغذاء الجيد، والصحة الجيدة، والإفراز الغددي، وسلامة اللوز، والجيوب الأنفية[٧].

ومن المعروف أن اللغة والتفكير وجهان لعملة واحدة، كما يقول "أرمينكو" على لسان "فينغشتاين"لا وجود للفكر في جهة وللغة في جهة أخرى متفرقين، بل يتوالد أحدهما من الآخر، وإن استجابة الطفل للرموز اللغوية تنطوي علي قيامه بعمليات عقلية معرفية كثيرا ما يكون التفكير واحدا منها[٨].

يأتي في الأهمية بعد ما ذكر آنفا المتغيرات الثقافية والاجتماعية؛ إذ إن نضج مراكز النطق عند الطفل، وبخاصة المراكز العصبية، يمكنه من النطق، بعد ذلك يعتمد التقدم اللغوي على نوع

---

[٦] الكلمات الشائعة في كلام تلاميذ الصفوف الأولى من المرحلة الابتدائية، فتحي يونس، رسالة دكتوراه، كلية التربية، جامعة عين شمس، ١٩٧٤م، ص ٩٦.

[٧] السابق، الصفحة نفسها.

[٨] المقاربة التداولية، فرانسواز أرمينيكو، ترجمة د. سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، د.ت. ص٢٢.

الحياة الاجتماعية والثقافة التي تحيط به، أي على المثيرات والمؤثرات البيئية التي تحيط به والمؤسسات والأفراد الذين يتعامل معهم والمستوى الاجتماعي _ الاقتصادي الذي يعيش فيه [٩].

وتشير الدراسات المبدئية والأبحاث التي تناولت النمو اللغوي في بيئات اجتماعية وثقافية مختلفة إلى أن أطفال البيئات المحرومة ثقافيا"Culture Deprived"يعانون من قصور في قدراتهم اللغوية، وأنه كلما تعددت خبرات الطفل الاجتماعية ازداد نموه اللغوي. ويتجلي تدنى المستوى الثقافي للأسرة فيما يتعلق باللغة في الآتى:

- نقص المثيرات الصوتية في مرحلة الطفولة المبكرة.

-قلة خبرات التفاعل اللغوي مع الراشدين في السنوات الأولى من عمر الأطفال.

- التناقض في صيغ المداخلات اللغوية بين البيت والمصادر الأخرى [١٠] .

- نقص الموارد التربوية أو سوء استغلالها [١١].

مشكلة البحث ومنهجه:

تتمحور مشكلة هذا البحث في تشخيص بعض ما تعاني منه لغة الطفل من خلال محاولة الإجابة عن **التساؤلات البحثية الآتية:**

١- ما أكثر المجالات الدلالية شيوعا عند الطفل في مرحلة الطفولة المبكرة؟

[٩] ثقافة الأطفال، هادي نعمان الهيتي، عالم المعرفة ع ١٢٢، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨، ص١٤٧.

[١٠] الكلمات الشائعة، مرجع سابق، ص٩٧.

[١١] إعداد الطفل للقراءة والكتابة، د.هدى الناشف، دار الفكر العربي ط١ . ١٤١٦هـ١٩٩٦م، القاهرة ، ص١٣.

٢- ما محتوى هذه المفردات؟

٣- ما العوامل التي أثرت في بناء هذه المجالات؟

٤- كيف يمكن الإفادة من نظرية المجالات الدلالية في ترقية لغة الأطفال؟..وغير ذلك[١٢].

منهج البحث:

اقتضت طبيعة البحث اتباع المنهج الوصفي (Descriptive Approach)، واستخدم أحد أنماط الدراسة المسحية؛ ليحقق ما نيط به من أهداف[١٣].

اللغة هي الوعاء الذي يتلقى الطفل من خلاله المعارف والخبرات والمهارات، سواء أكانت منطوقة أم مقروءة، تتمثل المنطوقة في اللغة التي يكتسبها من والديه وأسرته ومحيطه والمجتمع بصفة عامة، والمقروءة تمثلها الكتب والمقررات والأدبيات الموجهة للطفل في مرحلة الروضة وما بعدها، وثم مجموعة من العوامل تحولُ بين لغة الأطفال وبين تعلمها وتلقيها التلقي المنشود، هذا ويمكن الإشارة هنا إلى أهم تلك العوامل:

- الوالدان والبيت وأساليب التربية.
- ومن المعروف باداهةً أن ثقافة الطفل من ثقافة المجتمع، والتربية الثقافية التي يتلقاها الفرد في طفولته هي التي تحدد ثقافته في المستقبل، على أن للأطفال في كل مجتمع خصوصيات ثقافية يتميزون بها، مثل مفردات لغوية متميزة، وعادات وقيم ومعايير.

[١٢] الثروة اللغوية للطفل لمنصور السحيمي، مرجع سابق، ص ٦.

[١٣] المرجع السابق، ص٦.

- أول ما يقابله الطفل المحيط الأقرب إليه، يتمثل ذلك في الأم والأسرة، والرفاق، فالأم هي الفعل الأكثر مضيا في خبرات الطفل؛ فهو يتلقي منها الغذاء والمشاعر والتوجيه واللغة، والعلاقة بينهما تأخذ بعدا متناغما، قمته مساحة من فهم الآخر، والإحساس به، والتفاعل معه، كل بنصيبه، وكل له فاعلية في التأثير على الآخر والإحساس به، والتفاعل معه، كل بنصيبه، وكل له فاعلية في التأثير عليه وتحريك استجابته[١٤].
- تعد الأسرة _الصغيرة والكبيرة على السواء_ رافدا يمد الطفل بالقيم؛ فالأسرة تمثل البوتقة الاجتماعية الأولى التي يتعرفها الطفل ويتأثر بها، وهي المسئولة عن إكساب الطفل أنماط السلوك الاجتماعي، وكثيرا من مظاهر التوافق أو سوء التوافق؛ فبالنسبة للنمو اللغوي للطفل ، ويستثمر يومه في ممارسة اللغة مع الكبار والصغار، ويتمكن من فهم المواقف وإيجاد الحلول لها نتيجة كثافة الخبرات التي يتلقها، وقد لوحظ أن الطفل الأول الذي يولد لأسرة كبيرة، أكثر أفرادها من الكبار يكون أسرع في اكتساب اللغة، كما أن حصيلته اللغوية أغزر مادة وأكثر تنوعا، ويتميز بفهمه للمواقف وبقدرته علي التوافق الاجتماعي[١٥].
- تؤدي الروضة دورا كبيرا في تنمية لغة الطفل(إذا تهيأ له أن يلتحق بها) و تشمل جماعة الرفاق؛ إذ إن أتراب الطفل هم الفئة الأكثر تأثيرا في سلوكه عموما، فهم الذين يتجاذب معهم أطراف الحديث ويحاورهم؛ فكلامهم متقارب واهتماماتهم تكاد تكون واحدة.
- إذا انتقل الطفل من الروضة إلى المدرسة وبيئتها يواصل التأثر بتلك البيئة التي تعد امتدادا طبيعيا للسايقة؛ فإذا التحق بالروضة في سن مبكرة ومكث بها سنتين أو أكثر؛ حيث

[١٤] تحضير الطفل العربي للعام ٢٠٠٠، د.محمد عماد زكي، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٩م، ص٦٧.

[١٥] السابق، ص١٥٥.

يأتي الأطفال الروضة وقاموسهم اللغوي محدود وقدراتهم علي التعبير قاصرة [١٦] ويمكن القول بأن ما يتعلمه الأطفال من مفردات يتوقف على ما يجلب انتباههم، في البيئة التي يعيشون فيها؛ ففي وقت مبكر تجلب بعض الأشياء التي تحيط بهم انتباههم، فيلاحظون أشكالها وحركاتها، ويلاحظون الملامح المميزة لها ويصنفونها في فئات، تنقسم بدورها إلي فئات أصغر بناء على ما بينها من اختلافات ووجوه شبه، وهذه الملاحظة هي التي تقود الطفل في النهاية إلى اكتساب المعاني.

١. الكتب والمقررات الدراسية.

٢. المعلمون ولغة التدريس.

المعلم ركن ركين من أسس العملية التعليمية برمتها، وإذا كنا نلاحظ أن اللغة العامية هي المستخدمة بشكل كبير في تعليم العربية وغيرها، فماذا تكون النتيجة، النتيجة هي ما يعاينه الجميع من التردي في المستوى اللغوي لهم ولتلاميذهم، لكن اسمع ما يقوله الإنجليز بهذا الصدد:" العديد من الطلاب في البرامج التعليمية يجب ألا يقوم بتدريسهم مدرسون لديهم مستوى أقل من الجودة في اللغة الإنجليزية"[١٧]

٣. المحيط المدرسي.

- المؤثرات البيئية والاجتماعية:
- الإعلام بمختلف ضروبه والانترنت والهواتف المحمولة.

يتحمل قطاع الإعلام المسئولية الكبرى في نشر الثقافة وتوعية الناس وإرشادهم وتهذيبهم، والحفاظ على اللغة القومية ونشرها والتمكين يعد من الصميم في الرسالة الإعلامية؛ إذ اللغة هي الوعاء

[١٦] إعداد الطفل للقراءة والكتابة ص٢٢.

[١٧] اللغة الإنجليزية لغة العالم، مرجع سابق ص١٦١.

الناقل للمعارف والثقافات على اختلاف ضروبها وأهدافها، لكن المتأمل في الوسط الإعلامي العربي بعامة وما يبثه_ يحزنه التدني المستمر لمكانة العربية وثقافتها، والسخرية منها، أو حتى ازدرائها أحيانا، إلا ما رحم الله، أما القنوات الموجهة للصغار، وهي ما تعنينا هنا، فجلها ناطق بالعاميات المختلفة، وأقلها بالفصيحة.

- الأدوات الخاصة بالصغار وكذلك الأطعمة والمشروبات الموجهة لهم، وغير ذلك.

ويمكن تحديد المرتكزات الأساسية لأهمية دراسة لغة الطفل في هذه السن _ تحديدا_ في النقاط التالية:

١- اللغة أساس من أهم الأسس التي تقوم عليها شتى المهارات خلال هذه الفترة؛حيث يبدأ الطفل في التوجه نحو الآخرين[١٨]، يتفاعل معهم لغويا ويستمع إليهم ويركب الجمل ليوجه أفكاره إليهم، كما أن اكتساب اللغة الشفهية " Oral Language" ينمو بشكل سريع ومدهش خلال فترة ما قبل المدرسة الابتدائية.

٢- تعد مرحلة الطفولة المبكرة أهم مراحل النمو اللغوي والعقلي، وهما صنوان؛ ذلك أن الطفل يكتسب خلالها الأدوات الأساسية لطرق التفكير والقابلية على ربط المعارف من خلال فهم الكلام الصادر من الآخرين ومن خلال ربط أفكاره بأفكارهم؛ فالطفل_ خلال سنين عمره الأولى كما يؤكدعلماء النفس_ تتشكل شخصيته

[١٨] المفردات الشائعة لدى أطفال المرحلة التمهيدية في بغداد، وليد خضر الزند، رسالة ماجستير،كلية التربية، جامعة بغداد، أيار ١٩٧٦م، ص ١٢٢.

وتتحدد سماتها، بالإضافة إلى أن البرمجة العقلية تتم لدى الإنسان في الخمس سنوات الأولى[١٩].

وهنا لابد من الإشارة إلى أن الطفل يعبر عن أفكاره ويستقبل أفكار الآخرين عن طريق اللغة أولا، لذا فإن اللغة لصيقة بالتفكير، والوحدات اللغوية التي يستخدمها الأطفال لها معانيها، والمعنى في ذاته مظهر فكري يتمثل في مجموعة من الرموز اللغوية تنطوي على قيامه بعمليات عقلية معرفية، كثيرا ما يكون التفكير واحدا منها، بل إن مضمون الاتصال مادة فكرية في كيان لغوي يستقبله الطفل[٢٠].

٣- تعد اللغة عند الطفل في هذه المرحلة_ ويمثلها هنا المفردات_ بداية الخيط الذي نلج عن طريقه عالم الطفل الواسع، والمفردات هي أكثر الجوانب اللغوية حاجة إلى الضبط المنهجي، مع تعدد مجالاتها وعمق دراستها ولاسيما في المعجم والدلالة[٢١]، وإن كانت هذه المفردات لا توجد قائمة بذاتها أو بالأحرى لا تتصور منفردة بلا سياق يلم شعثها ويشد من أزرها.

٤- نجاح الطفل وانطلاقه في العملية التعليمية مرهون بنجاحه في تعلم القراءة الذي يفتح أمامه عالم المعرفة؛ فينمى شخصيته ويمده بالثقافة التي يحتاج إليها ليكون عضوا فاعلا

[١٩] ثقافة الأطفال، هادي نعمان الهيتي،مرجع سابق، ص ١٤٧.

[٢٠] فقه المصطلح والأسس المعرفية، د.أحمد محمد قدور، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، ع ٥٩، ١٤٢١هـ، ص ١٠٧.

[٢١] تدريس اللغة العربية في المرحلة الابتدائية في البلاد العربية، قاسم شعبان، ومنى حبيب، دار الكتاب اللبناني للنشر والتوزيع، د.ت. ص٩.

في مجتمعه، وتعلم القراءة يعتمد على معرفة الحصيلة اللغوية للطفل، ولاسيما خلال سنوات عمره الأولى.

يلتحق الأطفال بالمدرسة وهم يتكلمون لغة ما، وهذه اللغة هي لغة المحيطين بهم، أو لغة الأسرة، وبخاصة لغة الأم، وفى هذه الحالة يكون الحل المنطقي والفعال هو أن تعطى المدرسة الأولوية لهذه اللغة في الاتصال بالطفل وتعليمه في المراحل الأولى على الأقل، وهذا مبدأ لا يمكن التنازل عنه[٢٢]؛ فالطفل عندما ينتقل من البيت إلى المدرسة يحمل في جعبته أو حافظته اللغوية رصيدا لغويا ضخما؛ فهو قادر على التعبير عن نفسه في جمل تقصر أو تطول ولكنها تنقل إلى السامع ما يريد.

لا يستطيع الطفل ــإلى حد كبيرــ فهم ما يستمع إليه في سهولة ويسر، هنا تبرز الحاجة إلى مثل هذه الدراسات التي تنصب على لغة الأطفال الداخلين إلى المدرسة حتى تستخدم نتائجها في إعداد كتب الأطفال وأدبياتهم، فلابد عند تأليف الكتب المدرسية للأطفال أن تطرق المعرفة بلغة مقاربة للغتهم ومفاهيمهم كي يكون استيعابها أفضل وأعمق، لذا يفترض في مفردات الكتب العلمية في المراحل الأولى أن تكون من ضمن مفردات الطفل نفسه، ويقصد بهذا الشرط تسهيل عملية التعليم على الأطفال.

يقول أحد الدارسين: لا يمكن للأطفال في الصفوف الأولى أن يقرءوا الكتب التي تحتوي على مفاهيم غريبة، أو كلمات ليست جزءا من مفردات الاستماع التي ألموا بها؛ لذلك ينبغي في هذه

[٢٢] التعليم وثنائية اللغة، ميجل سيجوان، ترجمة دإبراهيم بن حمد القعيد، جامعة الملك سعود ،١٤١٥هـ، ص٨٩

الصفوف الأولى (الكتب) أن تستخدم الكلمات في مواد القراءة في معانيها المألوفة، وبالطرق المناسبة للأطفال[٢٣].

تواجهه الطفل في بداية تعلمه القراءة مشكلتان: معنى الكلمة وشكلها، فإن انتقاء الكلمة مما يعرفه الطفل ويستعمله يقضي على المشكلة الأولى (معنى الكلمة)، ولا يتبقى إلا مشكلة الشكل التي يمكن التغلب عليها عن طريق المدرس وما يستخدمه من وسائل تعليمية.

يحظى التعليم الابتدائي وصفوفه الأولى في معظم الدول ــإن لم يكن كلهاــ بالاهتمام الكبير، لما يمثله من خدمة إنسانية من جهة، وحاجة أساسية للفرد والمجتمع من جهة أخرى، كما تمثل هذه المرحلة الأساس للانتقال إلى المراحل التعليمية اللاحقة[٢٤].

إن استخدام ما يستعمله الطفل من كلمات في إعداد الكتب له يعد من أجدى الوسائل لتلكم الغاية، لكن أي مفردات ينبغي أن تستخدم في بناء تلك الكتب والمقررات والأدبيات الموجهة للأطفال؟ هنا يأتي دور توظيف معطيات نظرية المجالات الدلالية، التي تمكن من المؤلفين من استعمال المفردات المألوفة والمأنوسة للأطفال، التي ستكون في متناولهم قراءة وفهما واستيعابا، ولئن كانت اللغة الفصيحة السليمة غاية يؤملها الجميع؛ فإن تعليمها بناء على الطرق والأساليب العلمية الحديثة هو الوسيلة الأسرع لتلك الغاية، وقد نادى بذلك الثقات من الباحثين الأجلاء الذين سبقوا ونوهوا إلى ذلك الأمر الجليل كثيرا، أمثال د.رضوانــ رحمه اللهــ وأستاذنا د.فتحي يونس وغيرهم، يقول أحدهم:إن الحل لكل الصعوبات الهائلة في مواد القراءة والكتابة يوجد في

---

[٢٣] الكلمات الشائعة، مرجع سابق، ص ١٤.

[٢٤] تجربة المملكة المتحدة في نظام التفتيش التربوي بالمرحلة الابتدائية، عبد الرحمن النهال، مجلة العلوم التربوية، المجلد الثاني ع٤ فبراير ١٩٩٧، معهد الدراسات التربوية بجامعة القاهرة ص ١٨٦.

بحث مفردات الكلام للأطفال، وبدون معرفة هذه المفردات، فإن أي مادة للقراءة والكتابة صناعية، وأي معيار يستخدم في تقويم الكتب الموجودة غير تام، وأي طريق يتخذ لعقد الصلة بين الصيغ المتكلمة والصيغ المكتوبة غير مجد[٢٥].

وثمة تساؤل مُلِحٌ هنا، وهو: كيف يتم الربط بين تعلم القراءة والكتابة وبين طبيعة الاستخدام اللغوي للغة عامية كانت أم فصيحة؟؟ نعم اللغة التي تقدم للأطفال في الكتب التعليمية لابد أن تكون لغة معيارية (فصيحة) واللغة المستعملة في بيئاتهم ليست كلها كذلك، لكن بقليل من التأني والنظر في ما يستعمل يبدو لنا أن أكثره فصيح، أو يمكن تفصيحه، وليس ذلك بالعائق الكبير الذي يحول دون تطبيق ذلك الأمر على أرض الواقع.

وقد انتهى أحد الباحثين في دراسة قام بها بتكليف من المجلس الأعلى للثقافة في مصر..إلى أن ٩٠% من تلاميذ السنة الأولى الإعدادية (المتوسطة) لا يجيدون القراءة والكتابة..٨٧%من تلاميذ المدارس الابتدائية يكرهون حصص اللغة العربية، و تدل الدراسة على أن من بين هؤلاء التلاميذ من يفسرون كرههم لحصص اللغة العربية بسبب عدم تقبلهم ما فى تلك الكتب[٢٦].

فما السر في ذلك يا ترى؟؟ يبدو لي أن عملية بناء الكتب والمقررات هي مناط الداء؛ إذ إنها تبنى وفقا لأذواق المؤلفين واختياراتهم الشخصية، دون أن يكون مرجعها الدراسات الميدانية التي ترصد المعجم اللغوي للطفل ومجالاته الدلالية؛ ومن السهل تصور الموقف فى حالة استخدام المدرسة للغة غير لغة الطفل،فإذا ما اختلفت لغة الطفل عن لغة المدرسة (والعكس هو الصحيح) ينعدم الاتصال تلقائيا وأن من أهم الأفكار الأساسية في تاريخ التربية ..أن المدرسة ينبغي أن

[٢٥] الكلمات الشائعة ليونس، ص ١٧.

[٢٦] الخطاب الإبداعي للطفل، فتحي سلامة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٢م، ص١٦.

تكون ملتحمة بالحياة الواقعية، أي أن المدرسة ينبغي عليها أن تعين التلميذ على سبر أغوار خبراته الشخصية ليبنى المفاهيم التي تمكنه من استيعاب الواقع وبنائه ...ولذا يعد نبذ لغة الطفل الأولى مخالفة للاتجاه السائد في الفكر التربوي الحديث[٢٧].

وحقيقة الأمر أن صعوبة المادة من ناحية التراكيب والمحتوى تزيد في تعقيد عملية القراءة [٢٨] ويزداد هذا الأمر تعقيدا إذا ما كانت تلكم المادة غريبة عن الطفل وعن واقعه الذي يحياه. وليست الصعوبات الكثيرة التي يواجهها الأطفال العرب في القراءة دائما ناتجة عن عدم تمكنهم من مهارات القراءة، وإنما مرد أغلبها إلى طبيعة المعجم اللغوي والمجالات الدلالية المكونة لتلك المقررات والكتب.

وإذا كان الأمر كذلك فقد أصبح لزاما علينا أن ندرس لغة الطفل في سن دخوله المدرسة دراسة واعية، وأن نتعرف على قاموس الطفل اللغوي، وعلى أكثر المجالات الدلالية شيوعا فى حديثه، وعلى مفاهيمها المختلفة، والمعاني التي يقصد التعبير عنها حين يستخدم الكلمات.

وقد يكون السبب وراء إهمال لغة الطفل وتجنب دراستها والنظر إليها _ بخصوص وضع المناهج _ يرجع إلى الاعتقاد بأن مهمة المدرسة هى محاربة هذه اللغة، بوصفها من العامية أو الدارجة، وأخذ الطفل من أول يوم نستقبله فيه باللغة الفصيحة التي تختلف عن لغته وفي الألفاظ والتراكيب، وبحسبنا أن نشير هنا إلى ما اهتدى إليه المربون والباحثون من أن **لغة الطفل الأولى** ينبغي أن تكون الأساس الذي يبنى عليه تعليمه القراءة والكتابة في البداية..

---

[٢٧] التعليم وثنائية اللغة، مرجع سابق.ص٩٢،٩١.(بتصرف).

[٢٨] تدريس اللغة العربية، منى حبيب، ص.١١٤.

على أن الأمر لا ينتهي عند هذا الحد؛ لأن علاقة اللغة العربية بغيرها من المواد الدراسية هي علاقة الوسيلة بالهدف، ولا يمكن بحال أن نصل إلى مستوى عال في مادة من المواد دون الإلمام بالقدرة اللغوية.

وبعد، ألا يتعين على الدارسين_ واللغويين منهم بصفة خاصة _ أن يولوا وجوههم تجاه لغة الطفل يدرسونها ويمحصونها حق الدراسة ؟ أم أن لغة الطفل ليست جديرة بذلك؟ أم أن المكتبة اللغوية العربية لا تزال في حاجة إلى كثير من المداخل التي تكتفي بالوقوف عند الأبواب والفصول (النوافذ) وتُحجم عن الاقتحام، نعم إن كثيرا من تلك المداخل مع الأسف يكتفى بسرد التقسيمات والتفريعات ولا يعني نفسه بالاقتحام، أعنى اقتحام النص اللغوي أو الواقع اللغوي الثائر الفائر _ كما يقول أستاذي الدكتور بشر رحمه الله_ الذي يستحق البحث والعناء؛ فهو يذخر بالكثير من المشكلات التي تنتظر من يقدم لها الحلول، وتعد مشكلة تعليم اللغة المشكلة الملحة التي ينبغي على اللغويين ألا يغفلوها.

وهذه المشكلة ينظر إليها في ضوء سؤالين لا ينفك أحدهما عن الآخر:

– ماذا نعلم من اللغة ؟ وكيف نعلمه؟ ومن الواضح أن السؤال الأول سؤال عن **المحتوى**، وأن الثاني سؤال عن **الطريقة** ويتكفل بالإجابة عن السؤال الأول علم اللغة، أما السؤال الثاني فيجيب عنه علم التربية.[٢٩]

[٢٩] فصول في علم اللغة، د.عبده الراجحي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ١٩٩٧م، ص١٦٧.

لغة الطفل ونظرية المجالات الدلالية:

يتفق اللغويون وعلماء التربية وعلم النفس على أن للأطفال عالمهم الخاص الذي يتشكل طبقا لمجموعة متنوعة من العوامل الداخلية والخارجية على سواء، ويتعين على كل من يريد أن يلج هذا العالم _ لهدف أو لآخر، أن يحيط علما بالمفاتيح التي تتيح له تنفيذ مهمته؛ لأن الاتصال بالأطفال يستلزم استخدام لغة يفهمون دلالتها ويتذوقونها، لذا فإن عمليات الاتصال بالأطفال تستعين بلغة خاصة مميزة عن لغة الراشدين، فكاتب الأطفال لا يكتب لهم ما يتوافق مع مستوى نموهم العقلي فحسب، بل هو يخضع أسلوبه لمجموعة من الضوابط، بحيث يصير ذلك الأسلوب متوافقا مع ثروة الأطفال اللغوية[٣٠].

إن معرفة أكثر المجالات الدلالية ترددا على ألسنة الأطفال في مختلف المواقف والملابسات التي يتعرضون إليها، سوف تتيح للمختصين والتربويين بناء المقررات والكتب المناسبة لهم وفقا لواقعهم اللغوي المتمثل في أكثر المفردات والمجالات الدلالية شيوعا وتكرارا في أحاديثهم.

قد تبلورت فكرة نظرية المجالات الدلالية في العشرينيات والثلاثينيات من القرن الماضي على أيدي علماء سويسريين وعلماء ألمان وبخاصة "اسبن وجلي وتيريير" حيث طبقت مبادئ هذه النظرية على اللغة الألمانية الوسيطة[٣١]. أما عند العرب فإن لهذه النظرية أصولا في التراث العربي، ظهرت مع ثورة المعاجم العربية، وبخاصة في مجال معاجم الموضوعات، وقد انتهج واضعوا تلك المعاجم طريقة أو منهجا يقترب كثيرا من نظرية المجالات الدلالية وفقا لما يسمى بجمع المتناثر؛

---

[٣٠] ثقافة الأطفال، مرجع سابق، ص ١٤٦.

([٣١]) ف. ر.بالمر، علم الدلالة إطار جديد، ترجمة د.صبري إبراهيم السيد، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية ١٩٩٥،ص ١١.

حيث كانوا يجمعون الألفاظ التي تخص موضوعا بعينه مثل: خلق الإنسان، أو النبات أو الإبل، أو الخيل أو المطر..إلخ.[٣٢]

يعرف المجال الدلالي Semantic field بأنه" مجموعة من الكلمات التي ترتبط دلالاتها بعضها ببعض، وتوضع عادة تحت لفظ عام يجمعها، مثال ذلك: كلمات الألوان في اللغة العربية، فهي تقع تحت المصطلح العام: لون ، وتضم ألفاظا مثل: أحمر– أرزق – أصفر – أخضر – أبيض ..... إلخ ". ويرى ستيفان أولمان (S .Ullmann) أنه : "قطاع من المادة اللغوية، يعبر عن مجال معين من الخبرة"، ويعرفه جون ليونز "J.lyones " بأنه " مجموعة جزئية لمفردات اللغة"[٣٣] وهو مجال تدور حوله عدة كلمات مجموعة من المواد المعجمية ترتبط في المعني بظهورها معا في سياقات متماثلة[٣٤].

يقول دي سوسير:"اللغة نظام؛ والنظام مجموعة من الوحدات يقوم بينها عدد من العلاقات تربط بعضها ببعض، فإذا تغير عنصر كان لذلك التغير أثر على النظام كاملا".[٣٥]. ولعلنا نستشف من هذا القول الأخير لسوسير جدوى تطبيق معطيات نظرياة المجالات الدلالية في تعليم اللغة وتيسير ذلك.

([٣٢]) حلمي خليل، مقدمة لدراسة التراث لمعجمي العربي،دار النهضة العربية،بيروت،ط١٩٩٧،١م ص٣٧٦.

.

([٣٣]) حسام البهنساوى التوليد الدلالي "دراسة للمادة اللغوية في كتاب شجرة الدر لأبي الطيب اللغوى فى ضوء نظرية العلاقات الدلالية"ط١، ٢٠٠٣ ، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة ص ١٥.

([٣٤]) معجم علم اللغة النظرى، مُحَمَّد علي الخولي، مكتبة لبنان أبو الهول، القاهرة، مصر ١٩٧٩. ص٢٠٣. ٢٥٠.

([٣٥]) إلهام زغار، وصفية موسى "الجديد الدلالي عند دي سوسير وأثره في علم اللغة الحديث" رسالة ماجستير، جامعة عبد الرحمان ميرة، بجاية: ٢٠١٦/٢٠١٧.

ويمكن إيجاز أهم مبادئ نظرية المجالات الدلالية كما يلي: [٣٦]

١- يتكون أي حقل دلالي من كلمات؛ فالوحدة الأساسية له هي الكلمة وهي التي تتشكل منها البنية اللغوية.

٢- تحتاج الدلالة إلى التركيب النحوي لفهم ما تدل عليه الكلمة، ويمكن القول إننا لو درسنا الكلمة منفردة لوجدنا أنها تحوي مجموعة من المفاهيم أو المعاني المتعددة ولاستعصى أمر الدراسة.

3- حصر الكلمة في سياق معين يسهل عملية تصنيفها ضمن مجالات معينة

4- المجالات الدلالية الفرعية يمكن جمعها في مجالات دلالية أكبر (شاملة).

٥ – تكتسب نظرية المجالات الدلالية أهميتها من خلال تناولها المفردة ضمن سياق معين لتفهم، وكذا هذه الكلمة تجمع مع كلمات مجاورة لها ليتحدد معناها، ويتسنى لنا تحديد العلاقات (الترادف، التضاد، المشترك اللفظي التنافر...)

٦- تعد نظرية المجالات الدلالية خلاصة البحث الدلالي وبداية البحوث المتعلقة بتخصصات أخرى.

وتقتضي قراءة المعالم العامة والأطر الرئيسة لنظرية المجالات الدلالية أنه لكي تفهم معني كلمة ما، يجب أن تفهم –كذلك – مجموعة من الكلمات المتصلة بها دلاليا و يذكر "ليونز" بأنه لابد من دراسة العلاقة بين المفردات داخل المجال (الحقل) أو الموضوع الفرعي و يأتي في هذا الإطار

(٣٦) برنامج تعليمي لتنمية المهارات الدراسية وفق نظرية المجالات الدلالية، رسالة ماجستير، إعداد سليمة قدور، كلية اللغات والآداب، قسم اللغة العربية وآدابها جامعة العربي بن مهيدي، الجزائر،٢٠١٩-٢٠٢٠. ص ٢٤ وص ٤٧ (بتصرف قليل).

تعريف "ليونز" للكلمة بأنها :" عبارة عن " محصلة الكلمات الأخرى داخل المجال المعجمي، ومن ثم فإن هدف التحليل للمجالات الدلالية ، هو جمع الكلمات التي تختص مجالا معينا و الكشف عن صلاتها، الواحد منها بالآخر وصلاتها بالمصطلح العام (Semantics fields) "[٣٧].

أنواع المجالات الدلالية:

تنقسم المجالات الدلالية أو حقول المعاني، كما يسميها بعضهم إلى ثلاثة أقسام:

١. المجالات المحسوسة المتصلة، ويمثلها نظام الألوان في اللغات.
٢. المجالات المحسوسة ذات العناصر المنفصلة، ويمثلها نظام العلاقات الأسرية.
٣. المجالات التجريدية، ويمثلها نظام الخصائص الفكرية.

وهذا الأخير، وإن أكثر أهمية من المجالين السابقين، إلا أن تردد الكلمات الخاصة به يمثل نسبة قليلة في حديث الأطفال، الذي يتمركز حول المحسوسات بصورة كبيرة، وهذه كما يعتقد ترير (Trier) ليست منفصلة تماما، لكنها منضمة معا لتشكل بدورها مجالات أكبر منها، وأمر التبادل بين هذه المجالات بعضها بعضا وارد بصورة ما، ففي بعض الأحيان قد تكون الفواصل بين هذه المجالات تحكمية أو تعسفية.

أشهر المجالات الدلالية عند الأطفال:

بالرجوع إلى الدراسات والأدبيات وقوائم المفردات التي تصدت لدراسة لغة الطفل، كدراسة مُحَمَّد محمود رضوان وفتحي يونس وداود عبده، وليلى كرم الدين وغيرهم نجد أن أن أكثر المجالات الدلالية شيوعا وتكرارا تتمثل فيما يلي: جسم الإنسان.النظافة والتجميل.المرض والعلاج.الرياضة

(٣٧) التوليد الدلالى،د.حسام البهنساوي ص١٦ ،وراجع ص١٧ إلى ٢٧ تحت عنوان نظرية الحقول الدلالية.

واللعب.الملابس.الطعام والشراب.المسكن (البيت وما يتعلق به).الحياة المدرسية.الأسفار ووسائل المواصلات.الصنائع والمهن.الحيوانات والطيور.النباتات.الألوان....إلخ[٣٨].

يلاحظ الدارس كثيرا من الكلمات التي يستعملها الطفل دون أن يكون معناها واضحا لديه، فضلا عن تساوق مدلولها كما هي عند غيره من الراشدين؛ وهنا تجدر الإشارة إلى بعض الملاحظات فيما يتعلق بقضية بالمجالات الدلالية لدى الأطفال، فليس من الصحيح أن الطفل عندما يستعمل كلمة معينة يقصد بها المعنى نفسه كما يستعملها الكبار، فهذا يخالف الواقع في كثير من الأحيان، وبخاصة في المراحل الأولى.

وليس من الصحيح كذلك أن الطفل يسيطر على دلالة الألفاظ دون عنت أو مشقة، بل الصحيح أنه يصادف صعوبات كثيرة تظل تلازمه زمنا طويلا، فقد يسيطر على الأصوات وتراكيب الجمل وطرق النفي والإثبات، وغير ذلك من المظاهر الصوتية أو النحوية..والطفل فيما يتعلق بالدلالات يظل يتعثر طوال حياته ويختلف فهمه لها مرحلة بعد أخرى، فهي تضيق حينا وتتسع حينا آخر، وتتجدد وتتنوع مع الزمن، فلا يكاد يسيطر على بعضها بعد سن معينة حتى يصادفه سيل جارف منها يستأنف الصراع معها[٣٩].

وقد لاحظت هذه الدراسة_كما ذكر قبلُ غير باحث_ أن غالبية كلمات الأطفال الأولى ذات مدلولات محسوسة مادية، كما أن معظمها من الكلمات الدالة على المخلوقات أو الأشياء المتحركة والقابلة للحركة، مثل: الأب، الأم، السيارة، القطار، الباب، الشباك، السفينة، المركب، التاكسي...إلخ.

[٣٨] انظرها بتوسع مع نماذج لكل مجال في رسالتي للماجستير: الثروة اللغوية للطفل، ص ١٤٢_١٤٩.

[٣٩] دلالة الألفاظ، د.إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٩٧م، ص ٩٦.

وتُعد **اللُّعَب** ووسائل المرح من الأشياء اللصيقة بالأطفال_ وبلغتهم بطبيعة الحال_ كالدمى والعرائس والأراجيح، ونحوها من ألعابهم، فكل ذلك يتوقف توافره في معجم الطفل على مسألة جذب انتباه الطفل، فيلاحظون بعض الملامح المميزة لها.

ويمكن القول _على وجه الإجمال_ أن دراسة المجالات الدلالية الشائعة تفضي إلى أنها تدور في فلك المحسوسات (Concretes) وقد بلغت نسبة تلك الكلمات المحسوسة ما يقارب ٧٠% من جملة ما تم رصده وتسجيله من كلمات، بينما قلت نسبة الكلمات الدالة على المعنويات أو المجردات (Abstracts) ويرجع ذلك إلى صعوبة استيعاب الملامح الدلالية (Semantic Features) للمجردات وإن ردد الطفل بعضا من تلك الكلمات كالإخلاص أو الشجاعة، فلا يعني هذا أنه يدرك المراد منها أو أنه يفهم معناها كما الكبار تماما.

ويصحب تقدم الطفل في السن نمو حاسة استشعار لدلالات بعض الأفعال، فربما ينطق الطفل كلمة "لبن" ويقصد بها حاجته أو رغبته في اللبن، وقد يقول "ماما" وقصد أن يناديها لتحمله، فهذه الأفعال المضمرة، كأريد وأعني، وخلافه دليل على قيام "معناها في نفس الطفل" كما يقول عبد القاهر الجرجاني[٤٠].

إلا أن هذا يعني بالضرورة أن يستدعي الصورة الذهنية التامة لأفعال بعينها، فقد ينطلق ذهن الطفل وخياله إلى ما وراء اللفظ من حدث حقيقي ملموس.

[٤٠] دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، مطبعة المدني بالقاهرة ١٤١٣هـ ١٩٩٢م، ص ٨.

توظيف نظرية المجالات الدلالية في بناء المواد التعليمية:

تُعرف المواد التعليمية بأنها "المحتوى التعليمي الذي نرغب في تقديمه للطلاب بغرض تحقيق أهداف تعليمية معرفية ومهارية وجدانية، وهي المضمون الذي يتعلمه التلميذ في علم ما، وتتنوع صورة هذا المحتوى التعليمي؛ فقد يكون مادة مطبوعة في الكتب و المقررات التعليمية أو على لوحات أو على سبورات أو ملصقات، وقد يكون مادة مصورة، الصورة الثابتة، أو الأفلام، وقد يتخذ أشكالا أخرى من البسيط إلى المعقد وقد يكون مادة غير مألوفة للطلاب والمعلمين على حد سواء. [٤١]

و"المواد الدراسية هي مجموعة الخبرات التربوية والحقائق والمعلومات التي يرجى تزويد الطلاب بها، والاتجاهات والقيم التي يراد تنميتها عندهم، أو المهارات الحركية التي يراد إكتسابها إياهم بهدف إلى تحقيق النمو الشامل المتكامل لهم في ضوء الأهداف المقررة في المنهج".[٤٢]. كما ذكر ذلك د.رشدي أحمد طعيمة_رحمه الله.

لذلك فالمواد التعليمية هي وسيلة من أهم وسائل تحقيق أهداف العملية التعليمية وبناء الفرد والمجتمع وتحقيق التنمية المستدامة، ولا شك أن دور المؤسسات التعليمة في التمية والتقدم لا يقل عن الدور المناط بالمصانع والمزارع وجهات الإنتاج المختلفة.

[٤١] حسن عبد الرحمن الحسن، دراسات في المناهج وتأصيلها، مذكرة الدورة التدريبية لمعلمي اللغة العربية في البرنامج الخاص (مؤسسة الوقف الإسلامي١٤٢٤هـ، ص ١١١.

[٤٢] رشدي أحمد طعيمة، المرجع في تعليم اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى، القسم الأول مطبوعات جامعة أم القرى، ص ٢٠٢.

كيف يمكن استثمار نظرية المجالات الدلالية لإكساب الطفل المهارات الدلالية؟

– نظرية المجالاتِ الدلالية ناجعة وفعالة لتعليم الأطفال أساسيات اللغة الأم.

– هدف العملية التعليمية إيجاد برامج تتوافق وطبيعة الطفل من ناحية مراعاة الحاجيات التعليمية، والعقلية، والنفسية والاجتماعية.

– ما يحمله الطفل من قدرات لابد من استثمارها في تعليمه اللغة ومفرداتها ليكون معجما خاصا به.

– تفيد معطيات نظرية المجالات الدلالية في بناء الرصيد اللغوي للطفل. [٤٣]

خلاصة البحث

تمثل اللغة العربية في المقررات التعليمية وغيرها من الأدبيات المعدة للأطفال_ تمثل وسيلة وغاية في الوقت نفسه، فإن أهميتها للأطفال على وجه الخصوص تبدو أكثر إلحاحًا لخطورتها وعظم تأثيرها عليهم في سنواتهم التكوينية وما بعدها، ومن ثم جاءت فكرة هذا البحث الذي حاول استكناه لغة الأطفال والكشف عن بعض مضامينها من خلال أكثر المجالت الدلالية تكرا ودورانا بما قد ينير الطريق لمن يضع أو يؤلف كتابًا للأطفال أيا كان هدفه.

وطبقا لذا البحث ولغيره من الدراسات المماثلة_فيما يتصل بمصادر معجم الطفل في هذه مرحلة الطفولة المبكرة_فإن الألفاظ العامية ذات الأصل الفصيح _ تمثل الأغلبية من مجموع الكلمات التي تم رصدها، تليها الألفاظ الفصيحة ثم الألفاظ الدخيلة والمعربة، ويمكن القول هنا بأن جملة

[٤٣] برنامج تعليمي لتنمية المهارات الدلالية وفق نظرية المجالات الدلالية، مرجع سابق، ص ١١٦–١١٧(بتصرف).

الكلم العربي (الفصيح والعامي الفصيح) يمثل ما يقارب من ٨٥% من جملة ما تم جمعه من ألفاظ الأطفال، أود أن أشير هنا إلى أن الأطفال في بعض الأحيان قد يستعملون ألفاظًا عامية، وفي الوقت نفسه يدركون المقابل أو المرادف الفصيح لها، لكنهم في حاجة إلى من يشجعهم ويستنطقهم.

وقد يدرك الأطفال الملامح الدقيقة لبعض الألفاظ، فقد استدرك طفل على نفسه عندما قال – في معرض الحديث عن كيفية الوضوء – أغسل شعري (يعني أمسح شعري).

ليس هذا فحسب، بل قد يفسر الطفل كلمة فصيحة بالبديل العامي أو العكس.

يتأثر الأطفال سريعًا بما يدرسونه في المدرسة من مناهج ومقررات، يدل ذلك على ورود بعض الألفاظ الفصيحة المتصلة بالمقررات الدراسية على ألسنتهم في أثناء حديثهم اليومي المعتاد ومن أمثلة هذه الكلمات:(أستيقظ مبكراً. أعلق حقيبتي على كتفي. النقود الورقية. المسائل الحسابية. المسائل اللفظية. نلعب ونمرح في المدرسة.– شاهدنا المهرج يقوم بحركات بهلوانية. الحاسب الآلي جهاز مفيد...إلخ.

وهنا لابد من استثمار ذلك في إدخال كلمات فصيحة جديدة شيئًا فشيئًا، عبر هذا الطريق، تتلاءم والنمو اللغوي للأطفال، فهذه الكلمات، والتراكيب بعد أن تستقر في حافظة الطفل اللغوية وتصبح جزءًا من مذخوره اللغوي، بوسعه استدعاؤها وتفعيلها في اتصالاته اللفظية أو الكتابية متى شاء، إذا وجد من يشجعه على ذلك ويشد من أزره، وهنا يأتي دور المعلم المتقن الذي يبعث في تلاميذه روح اللغة السليمة ويساعدهم على إتقانها وإجادتها من خلال أدائه واتصاله بهم.

دراسة اللغة ليست من مهام مجال اللسانيات (العامة/التطبيقية) فحسب، وإنما اللغة حقل التقاء لمجموعة من العلوم وتداخلها مثل (علم النفس/علم الاجتماع/علم اللغة النفسي/علم اللغة الاجتماعي).

وقد ظهر الأثر المحمود لوسائل الإعلام من راديو وتليفزيون في لغة الأطفال، في زيادة مذخورهم اللفظي وإثرائه، وإن امتاز التليفزيون بتأثيره الفعال في اللغة؛ لأنه يحمل الكلمة الجديدة، أو التعبير اللغوي الجديد مصحوبًا بصورة تعبيرية حية، تساعد على رسوخ الأثر اللغوي الجديد في الذهن بسرعة وجدارة.

وهنا يجب التنبيه إلى أن هذه البرامج، وإن كانت تقدم في لغة عربية سهلة وسليمة في أكثر موادها، فإنه ينبغي التعامل بحذر، وبخاصة تلك المترجمة عن لغات وثقافات أجنبية قد تحمل قيمًا أو عادات لا تتفق مع قيمنا العربية والإسلامية، فمثل هذه البرامج التي يتابعها الأطفال بشغف وشوق، ينبغي علينا استثمارها الاستثمار الأمثل في غرس القيم الصالحة والسلوك الحميد في نفوس الأطفال، بجانب اللغة الجيدة بطبيعة الحال.

توجد بعض السلبيات الناجمة عن وسائل الإعلام مما يؤثر على اللغة بعامة – لغة الكبار والصغار على سواء – مثل العبارات والألفاظ المرتجلة والنابية التي تطرق أسماع الناس من خلال الراديو والتليفزيون، ومن ثم يكتب لكثير منها الانتشار بين الشباب بخاصة، ولا تسلم منها لغة الصغار أيضا الأمر الذي يتطلب رقابة لغوية على ما يذاع عبر وسائل الإعلام لتجنب مثل هذه الأشياء.

لاشك في أن الإسراع بتعليم الأطفال لغة أجنبية في سن مبكرة ينطوي على كثير من المخاطر، ومن بينها هنا على سبيل التمثيل – كما رصد الباحث – التأثير السلبي على لسان الطفل

(لغته)، ليس على المستوى الشكلي (اللفظي) فحسب بل على البنية العميقة عنده (بعض قواعد اللغة).

ويتفق ذلكم مع نتائج كثير من الدراسات التي أثبتت أن لتعلم لغة أجنبية في سن مبكرة أثرًا سلبيًا على الطفل ونموه في لغته الأم، واتفقت هذه الدراسات على ضرورة تأخير البدء في تعليم الطفل لغة أجنبية حتى يتمكن من إتقان لغته الأم إتقانًا تامًا، حتى لا يحدث تداخل بين اللغتين في أثناء تعلمهما في وقت واحد، كما أجمعت هذه الدراسات على أن التأثير السلبي لن يكون على نمو اللغة الأم فقط، وإنما سيكون أيضًا على سرعة اكتساب الطفل للغة الأجنبية.

وكما هو معلوم أن البيئة المادية تؤثر بصورة كبيرة في اللغة وبخاصة لدى الأطفال، لذا فقد جاءت الألفاظ المحسوسة والدالة على أشياء متحركة، أو قابلة للحركة بصورة أكثر من الألفاظ المتعلقة بأشياء مجردة أو معنوية.

وفيما يتعلق بالجمل ودلالاتها وأنماطها، فقد مثلت الجملة الفعلية بأنواعها الثلاثة بسيطة ومركبة ومعقدة، الكثرة الغالبة، وكان الاعتماد فيها على الفعل المضارع ثم الماضي، وقت صيغة الأمر بدرجة كبيرة، كما أسلوب الاستفهام بصورة واضحة من خلال الحوار مع الأطفال.

وقد تبين من خلال الدراسات الدلالية أن الأطفال الصغار يميلون إلى تعميم مدلولات الكلمات التي يتعلمونها، واستخدامها في مجالات أوسع من المجالات التي يستخدمها فيها الكبار.

من الضروري لفت الانتباه إلى اللغة العربية والاهتمام بها خصوصا في وقتنا الحالي والأهم مراعاة نظام اللغة نفسه، فطبيعة نظام اللغة العربية خاص لابد من طرائق معينة للتعامل معه.

توصيات ومقترحات

بعد الانتهاء من هذه الدراسة يرى الباحث يوصي الباحث بمايلي:

١- الاتجاه في تعليم اللغة العربية نحو الواقعية، بمعنى أن تعلم اللغة – وغيرها من المواد – يجب أن يكون لأهداف اجتماعية، وأن يعتمد في تعليمها على مسح شامل لما يحتاجه المتعلمون..وقد أكدت رؤية المملكة العربية السعودية ٢٠٣٠ على الاهتمام بقطاع التعليم والتثقيف لاسيما في مراحل الطفولة المبكرة.

٢- استثمار نظرية المجالات الدلالية في إكساب الطفل المهارات الدلالية المتنوعة نحو: مهارة الفرز والتصنيف، والتسمية، وتعرف الوظائف، والترتيب، والمقارنة.

٣- الاعتماد على ما يستعمله الأطفال من مفردات وفق أكثر المجالات الدلالية شيوعا وتكرارا في أحاديثم في بناء المؤلفات المقدمة إليهم، والالتفات إلى استعداداتهم اللغوية كافة، من الناحية المعجمية والقواعدية والدلالية، ويتعين أن يكون هذا عن طريق الرجوع إلى الثروة اللغوية التي يمتلكها الطفل بالفعل من خلال التركيز على القوائم (Glossaries) المستخلصة من أحاديثهم الفعلية الحية.

٥- العناية بالبيئة اللغوية للأطفال، وأخذها في الحسبان فيما يتصل بالمؤلفات المقدمة لهم، فالأطفال كثيرًا ما يستخدمون الكلمات بمعان خاصة تعبر عن خبراتهم الخاصة وبيئتهم.

٦- ويقترح الباحث هنا – لكي نضع أيدينا على حصيلة الأطفال الفعلية – إنشاء "**مكنز الحصيلة اللغوية الفعلية**" بالتعاون بين الهيئات المعنية، نحو مجمع الملك

سلمان العالمي للغة العربية، ومدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية وزارة التعليم، متمثلة في كليات التربية وأقسام اللغة العربية.

٧- الاستعانة في تعليم اللغة، وذلك في مرحلة رياض الأطفال بصفة خاصة – بالأشعار والأناشيد، سهلة المأخذ قريبة المتناول من الأطفال، بما لها من جرس موسيقى عذب يمد الطفل بذخيرة لغوية جيدة، تستقر في حافظته اللغوية بدرجة تفوق الكلام النثري المعتاد. فإذا تدرج الطفل في السن اعتمد في تعليمه اللغة العربية على نصوص شائقة جذابة، على رأسها القرآن الكريم، والسنة النبوية، والشعر والنثر العربيين، بما يتناسب وذائقته ومقدرته اللغوية.

٨- إرجاء تعلم اللغات الأجنبية حتى يتمكن الأطفال من إتقان العربية؛ فمن المتفق عليه بين الباحثين والدارسين في مجال التربية أن إقحام اللغة الأجنبية في سن مبكرة يعوق بشدة عملية تعلم الأطفال لغة الأم (Mother Tongue).

٩- ضرورة وضع معاجم لغوية مرحلية تتناسب مع أسنان الناشئة، اعتمادًا على الدراسات الميدانية الفعلية.

مراجع البحث

- إعداد الطفل للقراءة والكتابة، د.هدى الناشف، دار الفكر العربي ط١ . ١٤١٦هـ١٩٩٦م، القاهرة.

- إعداد المواد التعليمية بمدخل الحقول الدلالية، بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير، آدي مرداني زت، كلية الدراسات العليا، جامعة مولانا مالك إبراهيم الإسلامية الحكومية، إندونيسيا، ١٤٣٣هـ،٢٠١٢م.

- برنامج تعليمي لتنمية المهارات الدراسية وفق نظرية المجلات الدورية إعداد سليمة قدور، كلية اللغات والآداب، قسم اللغة العربية وآدابها جامعة العربي بن مهيدي، الجزائر،٢٠١٩-٢٠٢٠.

- تجربة المملكة المتحدة في نظام التفتيش التربوي بالمرحلة الابتدائية، عبد الرحمن النهال، مجلة العلوم التربوية، المجلد الثاني ع٤ فبراير ١٩٩٧، معهد الدراسات التربوية بجامعة القاهرة.

- تحضير الطفل العربي للعام ٢٠٠٠، د.مُحَمَّد عماد زكي، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٩م.

- تدريس اللغة العربية في المرحلة الابتدائية في البلاد العربية، قاسم شعبان، ومنى حبيب، دار الكتاب اللبناني للنشر والتوزيع، د.ت.

- التعليم في مرحلة الطفولة المبكرة، نجوى جمال الدين، مجلة العلوم التربوية، يناير ٢٠٠٢.

- التعليم وثنائية اللغة، ميجل سيجوان، ترجمة د.إبراهيم بن حمد القعيد، جامعة الملك سعود ،١٤١٥هـ.
- التوليد الدلالي "دراسة للمادة اللغوية في كتاب شجرة الدر لأبى الطيب اللغوى فى ضوء نظرية العلاقات الدلالية" حسام البهنساوى ط١، ٢٠٠٣ ، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة.
- الثروة اللغوية للطفل في المرحلة السنية من الرابعة إلى الثامنة بمدينة مرسى مطروح، دراسة معجمية دلالية، منصور سعد السحيمي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.
- ثقافة الأطفال، هادي نعمان الهيتي، عالم المعرفة ع ١٢٢، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
- الثقافة الإعلامية في سنوات المدرسة، تأليف فرانك بيتر، ترجمة د.مُحَمَّد بلال الجيوسي مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م.
- الجديد الدلالي عند دي سوسير وأثره في علم اللغة الحديث، إلهام زغار، وصفية موسى، رسالة ماجستير، جامعة عبد الرحمان ميرة، بجاية، الجزائر، ٢٠١٦/٢٠١٧.
- الخطاب الإبداعي للطفل، فتحي سلامة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٠م.
- دراسات في المناهج وتأصيلها، حسن عبد الرحمن الحسن، مذكرة الدورة التدريبية لمعلمي اللغة العربية في البرنامج الخاص، مؤسسة الوقف الإسلامي١٤٢٤هـ.
- دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٩٧م.

- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، مطبعة المدني بالقاهرة ١٤١٣هـ ١٩٩٢م.
- علم الدلالة إطار جديد، تأليف ف. ر.بالمر، ترجمة صبري إبراهيم السيد، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية ١٩٩٥.
- علم الدلالة، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة ١٩٨٨م.
- فصول في علم اللغة، عبده الراجحي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ١٩٩٧م.
- فقه المصطلح والأسس المعرفية، أحمد مُحَمَّد قدور، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، ع ٥٩، ١٤٢١هـ.
- الكلمات الشائعة في كلام تلاميذ الصفوف الأولى من المرحلة الابتدائية، فتحي علي يونس، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية، جامعة عين شمس، ١٩٧٤م.
- اللغة الإنجليزية لغة العالم، تأليف ديفيد كريستال، ترجمة سعد بن هادي الحشاش، جامعة الملك سعود، ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م.
- اللغة والحياة والطبيعية البشرية، تأليف روي .سي. هجمان، ترجمة د.داود حلمي السيد، ط٢، القاهرة، عالم الكتب، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.
- المرجع في تعليم اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى، القسم الأول، رشدي أحمد طعيمة، مطبوعات جامعة أم القرى.
- مستويات التحليل اللغوي في علم اللغة، أبو السعود أحمد الفخراني، مطبعة الشروق بالراهبين، البحيرة، مصر، ١٩٨٨م.

- معجم مصطلحات علم اللغة النظرى، مُحَمَّد علي الخولي، مكتبة لبنان أبو الهول، القاهرة، مصر ١٩٧٩.
- المفردات الشائعة لدى أطفال المرحلة التمهيدية في بغداد، وليد خضر الزند، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة بغداد، أيار ١٩٧٦م.
- المقاربة التداولية، تأليف فرانسواز أرمينيكو، ترجمة سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، د.ت.